تونس يوم الاثنين ١ ذي القعدة ١٣٥٦
الموافق ليوم ٣ جانفي سنة ١٩٣٨

المدير السياسي
الاستاذ الحبيب بورقيبة
رئيس قلم التحرير
الاستاذ الطاهر صفر
الادارة
نهج باب السويقة عدد ١٥٨ بتونس
تليفون ٠٠-٧٥

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

العمل

لسان الحزب الحر الدستوري التونسي

El-Amel - L'Action
Rédacteur en chef : TAHAR SFAR
158, Rue Bab Souika - TUNIS

الاشتراكات

	عن سنة	عن ٦ اشهر
المملكة التونسية	٣٠	١٥ ف
وحدة بريد فرنسا	٤٠	٢٠ ف
بقية العالم	٦٠	٣٠ ف

الاعلانا يتفق فيها مع الادارة

العدد ٤٩ — السنة الرابعة

ثمن النسخة ٥٠ صانتيما

التشكيلات التاسيسية للنهوض الاقتصادي

الديوان الاقتصادى ينتخب مكتبه ولجنة البنك

الحكيم محمود الماطري يستقيل من رئاسة الديوان السياسي لاسباب صحية

الجلسة الافتتاحية للديوان الاقتصادي التونسي

على الساعة السادسة من مساء يوم ٣١ ديسامبر ١٩٣٧ اجتمع بالنادي المركزي للحزب الحر الدستوري التونسي ثلة من سراة الامة التونسية لوضع الحجر الاساسي للهمة الاقتصادية التونسية وتعيين ديوان اقتصادي يتركب من مكتب ولجان فرعية لدرس المهمة والوصول بعد النقد والتحوير الى الغاية المنشودة .

السادة الحاضرون بالجلسة

احمد بن حميدة ـ محمد المقدم ـ الهادي العلمي عمر بسرور ـ الحاج سليمان بن يوسف ـ الصادق بوصفارة ـ الهادي بن الاغة ـ صالح شقير ـ الطاهر صفر ـ البحري قيقة ـ الصادق بن ابراهيم ـ الهادي المؤدب ـ الهادي الاخوة ـ علي درغوث ـ عمر بن ميلاد ـ محمد المقني ـ عياد بن علي ربانه ـ عبد القادر سلامة ـ محمد بن عبد الرزاق بن عبد القادر ـ حميده بن بابا احمد ـ محسن المولى ـ شعبان حجي ـ عثمان الاخضر ـ الطيب بن عمار ـ رمضان الفصاطوي ـ محمد ونيش ـ ابراهيم بن يدر حميدة العباسي ـ ابراهيم الفوراتي ـ محمد العروسي ما مغلي

ثم فتح الجلسة الاستاذ الطاهر صفر نيابة عن الرئيس الحكيم محمود الماطري المتغيب لعذر شرعي وبعد ان اعطى الاستاذ صفر بسطة فيما اجتمعنا لاجله واتى على تعداد الفوائد الجمة التي سيجني الشعب التونسي ثمارها من وراء هذا المشروع الاقتصادي التونسي وبعد ان عرج على ما اشار به المؤتمرون اثناء المؤتمر الفارط للحزب من وجوب تلافي الخطر الذي يهدد البقية الباقية من الثروة التونسية ولزوم الاعتناء توا بالحالة الاقتصادية التونسية المتدهورة قال الاستاذ ان المجلس الملي للحزب بجلسته الاخيرة قرر تكوين ديوان اقتصادي على راسه حضرة الدكتور محمود الماطري ثم تداول الحاضرون الاراء في تكوين مكتب دائم للديوان الاقتصادي فكانت النتيجة الاتية بالاجماع :

الدكتور محمود الماطري — رئيس
الاستاذ الطاهر صفر — كاهية
الاستاذ البحري قيقة — كاتب
السيد صالح شقير — كاتب معاون

ثم اخذ الحاضرون في المداولة فيمن يتركب منهم الديوان الاقتصادي بصفة اعضاء عاملين فكانت النتيجة ان اتفق الحاضرون على ان يكونوا جميعا اعضاء عاملين للديوان المذكور مع من سينضم اليهم من اخيار التونسيين بالحاضرة وداخل المملكة للاخذ بناصر هذا المشروع الهام وتوفرت فيهم الكفاءات اللازمة والثقة التامة وهم بحول الله كثيرون

ثم تلي محضر الجلسة على الحاضرين وهذا نصه :

اللجان الفرعية اللازمة للديوان الاقتصادي

١) لجنة الدراسة الاقتصادية — مهمتها النظر في حاجيات البلاد من الوجهة الاقتصادية سواء من ناحية الانتاج او المداولة او الاستهلاك . وما تقتضيه الحالة الاقتصادية في البلاد من علاج واصلاح . وما هي مطالب الامة الاقتصادية نحو الحكومة . وما هي الروابط الاقتصادية التي تجمع بين الامة التونسية والشعوب الاخرى . وما هي المؤسسات الاقتصادية التي يجب تاسيسها وكيف يمكن الشروع في تاسيسها وتسطير البرامج لجميع ذلك

٢) لجنة الدعاية الاقتصادية — ومهمتها بث الثقافة الاقتصادية وبعث روح جديدة في الشعب وتشجيعه على الاقبال على المؤسسات القومية الجديدة من بنوك وجمعيات تعاون وشركات وغير ذلك وطرح رداء الكسل وبث التضامن والعمل بنزاهة واخلاص

٣) لجنة البحوث والارشاد — ومهمتها جمع كل ما يتعلق بالاقتصاد التونسي من ارشادات صالحة فنية سواء تتعلق بالدوائة او الاثمان في الخارج او البضائع الوطنية وترشد الناس الى ما تهمهم معرفته

٤) لجنة البنك الوطني التونسي — ان مؤسسة البنك اصبحت محل اعتناء الشعب واستلفات نظره وكل الاعناق مشرئبة الى انجاز هذا المشروع الذي اصبح ضروريا في حياتنا الحاضرة وقد سبقتنا اليه كل الامم الاسلامية التي عرفت كنه معترك الحياة وما يتلاءم مع الروح الاسلامية اكثر مما عرفنا . وقد وجب تكوين هاته اللجنة قبل كل اخرى لتوجد لهذا المشروع معداته وتدرس كيفية تاسيسه في وقت وجيز وتجعل في ذلك ملفا خاصا تعرضه على الديوان ليقع النظر فيه وبعد ذلك يقع جمع مجلس عام لانتخاب مجلس الادارة الوقتي للبنك والشروع في التكوين او التاسيس

وبعد ذلك راى الحاضرون ارجاء النظر في انتخاب اعضاء اللجان الفرعية ـ (الدراسة الاقتصادية) و« البحوث والارشاد » و « الدعاية الاقتصادية » الى جلسات مقبلة يعين تواريخها مكتب الديوان الاقتصادي وكل تونسي يود الخير لبلاده له الحق في اقتراح طلب حضوره فيقع استدعاؤه من طرف المكتب المذكور

ولما كان مشروع البنك متاكدا جدا حسبما اسلفناه فقد راى الحاضرون المبادرة بتكوين لجنة البنك الوطني التونسي وابرازها من حيز القوة الى الفعل . فاجريت عملية الانتخاب السري التي اسفرت على النتيجة الاتية :

اعضاء لجنة البنك

الاماجد السادة عمر بسرور . الحاج سليمان ابن يوسف . الحاج محمد بن عبد القادر بن عبد القادر حسان بوجدرة . الصادق بن ابراهيم . محمد المقدم . الهادي الاخوة . عياد ربانة . الهادي العلمي . الهادي بن الاغة . علي درغوث . محمد المقني . احمد ابن حميدة . عثمان الاخضر

ثم ان اعضاء لجنة البنك قرروا الاجتماع بالمكان في اليوم الموالي على الساعة السادسة مساء (غرة جانفي ١٩٣٨) لتكوين مكتب اللجنة والشروع في الاعمال الاساسية بكل حزم واخلاص

وعلى الساعة العاشرة اعلن الرئيس الاستاذ صفر رفع الجلسة .

صالح شقير

النهوض الاقتصادي

ما كاد يبلغ الاوساط التونسية نبأ عناية الحزب الحر الدستوري التونسي بالشؤون الاقتصادية وسعيه في تكوين ديوان اقتصادي ولجان عديدة لتسطير برنامج اقتصادي للبلاد حتى عم السرور سائر السكان وتفاءلوا كل التفاؤل بهذا الانجاء الجديد وعلقوا عليه جم الفوائد ومختلف المنافع . وان حال التعاسة المادية والادبية التي بلغ اليها الشعب التونسي من جراء السياسة الخرقاء التي وقع اتباعها الى الآن والتي لا زالت الحكومة تتمسك باذيالها بالرغم عن الاعتراف بفسادها وتحقق إضرارها بالصالح العام جعلت الامة التونسية كالمريض الذي ثقل به المرض وانهك قواه فهو يتوق الى كل دواء ويلتمس من الاطباء انواع العلاج راجيا الشفاء من علته وانفراج كربته والآن بعد طول مدة قد اصبح الشعب التونسي على بينة من امره وتحقق من ان صنوف العلل التي يقاسيها يرجع معظمها الى ضعف كيانه الاقتصادي وبساطة جهازه وعدم توفر الاسباب المادية التي تكسب الشعوب قوة وجرأة واقداما وتسهل عليهم طرق المطالبة بحقوقهم وترمي بهم في المسالك الوعرة من دون خوف ولا وجل وانه من الواجب عليه تدارك امره قبل الفوات وذلك بتاسيس المشاريع الاقتصادية التي تعوزه من بنوك ومعامل وشركات وجمعيات تعاونية والدخول في المعمعة الاقتصادية بصورة فعلية حقيقية .

وعلى ان إحداث نهضة اقتصادية بالبلاد التونسية ليس من الامور اليسيرة التي يكفي التصريح بها ليقع اتمامها وتنفيذها بل لابد من التكاتف وتضامن سائر عناصر الامة واتحاد صفوفها كما ان تلك النهضة تتطلب اخلاقا جديدة وثقافة جديدة وعوائد جديدة لا بد من التحصيل عليها بعد الدعاية لها فكما ان النجاح في المطالب السياسية يتطلب من الامة استعدادا للتضحية واقدامها وجرأة وحماسا واستماتة ومعرفة بالواجب وثقافة خاصة وشعورا بالمواقف والظروف وصبرا على الخيبة او الخيبات المتوالية واستعدادا لاستئناف العمل كذلك النجاح في المنطقة الاقتصادية لا يمكن الا اذا توفرت شروط عديدة من ثقة ونزاهة في القائمين بالمشاريع والمديرين لها وسعي في التماس المنفعة للجموع وتفكير مستمر ونشاط دائم وحزم ليس وراءه حزم وعزيمة لا تقضها العقبات والشدائد وايمان بالانتصار والفوز وإصرار للمزاحمة وميل للمقاومة واخذ بالاساليب الملائمة لهذا العصر ونبذ للخرافات والاوهام واقبال على الحقائق العلمية وان مثل هاته الشروط تتطلب انقلابا فكريا عظيما في الشعوب وتغييرا في الثقافة ولا بد لهذين الامرين من دعاية متسعة النطاق يقوم بها رجال اكفاء لهم اطلاع على اسرار تطورات الامم وتاريخ تمدنهم ومعرفة باسباب نهوضهم وفشلهم ليتمكنوا من ارشاد بني جلدتهم الى اماكن الضعف في كل حركة ليقع الاحتراز من الوقوع فيما وقع فيه غيرها من الزلل فان تجارب الامم قبلنا يجب ان نستثمرها ونستفيد منها وتلك فائدة التاريخ وانه ليسرنا ويسر كل تونسي استقبال الشعب لهذا العصر الجديد وهو عصر الدراسة والنظر والعمل في روية وتبصر وادراك بعد ان استكمل نضوجه الفكري واتم استعداده وادرك رشده السياسي بفضل الحركة التي قام بها ولا يزال يواليها حزبه المفدى وعلى الله سبحانه وتعالى يتوكل المتوكلون .

الطاهر صفر

الى الشعب التونسى النبيل

كثر اللغط واطاق الثرثارون السنتهم فعاثوا بمختلف التعاليق على استقالة الحكيم الماطري من رئاسة الديوان السياسي واحدث النبا في البلاد اضطرابات فكرية مبعثها ثقة الامة بالديوان السياسي

ولافادة شعبنا العزيز بالحقيقة الكاملة ورفعا لكل التباس سننشر النص الكامل لمكتوب الاستقالة في العدد الاعتيادي المقبل اذ قد ضاق نطاق ملحقنا هذا

الطلبة التونسيون

يجددون ثقتهم بالديوان السياسي المفدى

بلغنا جريدة النهضة الفيحاء خبر استقالة الدكتور الماطري الاسيف من رئاسة الحزب الحر الدستوري التونسي وقد كان هذا التسليم مؤلما وباعثا من جديد في اعماق قلوبنا شعورا يرتقي بنا الى مثلنا العليا وهدفنا الاسمى في الحياة لنصبح كلمة دبت بقرارتها بذور اليقظة وخالقا فينا احساسا نبيلا يدفعنا من جديد الى ابداء ثقتنا الكاملة نحو حزب الامة التونسية المفدى متحملين معه المسؤولية العامة التي تهم كل تونسي مخلص لوطنه مستعدين بارادة جبارة لا تقوى عليها الاعاصير ولا يلهو بها العبث والتهور او تنقص من جبروتها الاعيب اطفال يرقصون مع الحياة مرددين اغنية الحلم المعسول ؟! وقوة عتيدة تغالب امواج الزمن وظلم العدو الالد لامتنا التونسية التي بها نفاخر ومن اجلها اذا جد الجد نضحي غير هيابين بنكبات الغشم والاستبداد بهته المناسبة نعرب للديوان السياسي بان ثقتنا تضاعفت عن ذي قبل في رجاله الذين برهنوا غير مرة عن تضحياتهم الجميلة مقدرين فيهم جهاد الزعيم المخلص وثبات المبدأ المستمر وروح القومية العزيزة . فالى رجال الديوان السياسي ثقتنا الكاملة لاهجين معهم : سيروا في سبيل جهادكم فنحن من ورائكم عاملون ومضحون لاجل وطننا العزيز الغالي « تونس الاسلامية »

مآت الامضاءات

المصرف الوطنى التونسى

هذا المصرف الذي فكر في تأسيسه الديوان السياسي المحترم تحت ادارة الديوان الاقتصادي هو خير ما يعمله العاملون لمجد اوطانهم وانفس ما يتنافس فيه المتنافسون لاظهار عظيم تعلقهم بحياة امتهم . فهذا المصرف الوطني الذي سيقرر الديوان الاقتصادي انشاءه فيما سينشئه لنا من الاعمال الكبيرة يجب ان يتم بعزيمة الشعب . فهو المطمح الذي تعلقت به الخواطر وامتدت اليه العيون والبصائر والعجز المحسوس في اقتصادنا المتحفز للنهوض ، وصفعة الشنار في معقد الانفة والكبرياء من التونسي التي سيغسلها الديوان السياسي النبيل

فهذا المصرف هو المؤمل لحفظ الموجود من كسبنا وإنمائه ، ورد المفقود من اراضينا ، وصناعتنا وتجارتنا ، وشركاتنا . فالامة الفقيرة ، المستعمرة اقتصادياتها هي امة ميتة لا تستحق الحياة والخلود اذا استنامت على العجز ودواعيه وحاشا امتنا الكريمة المجاهدة الواصلة الى اقصى امانيها بفضل ابطالها المخلصين الامناء رجال الديوان السياسي . كلنا يدرك شديد احتياجنا لهذا المصرف الوطني وكلنا يعلق عليه اعظم الآمال فهو سيعين منشآتنا لاستقلال البلاد الاقتصادي . ويؤازر المستقيمين منا على توسيع دائرة اعمالهم الصناعية والفلاحية والتجارية . ويأخذ بيد المنكوبين الذين التهم رزقهم النهمون باضطرارهم لمعاملاتهم الربوية المحرمة وينقذ ما امكن من الاملاك المحترقة في أتون البيوعات العدلية وهو الهيمن على اقتصادنا كله وهو المرجى لارواء شجرة اقتصادنا الذابلة وتسربه في مسالكها دفاقا حنونا منتظما سلسبيلا . وهو المرجى لان يكون من اعظم اعمال هذا الشعب حريصا على سمعته ومستقبله حريصا في اختيار موظفيه ومراقبيه مع اخذ الكفالات الكاملة عليهم دقيقا في اعماله جاعلا هدفه التقدم والنجاح وتوفير الارباح من الاوجه الحلال ومنفعة مساهميه وربحهم وسرورهم مع البعد التام على جميع ما يجر الى الربا في جميع اعماله المصرفية مع مراعاة التراتيب والقوانين الادارية والعدلية المعمول بها في العصر الحديث مظهر لمحاسن الاسلام ورحمته في المعاملة . لا تظلمون ولا تظلمون .

ومن عجب ان الربا الذي تحرمه جميع الشرائع السماوية تحله القوانين الوضعية اذا كان خمسة على المائة او ما يناهزها وتحرمه اذا كان اكثر وتحكم به المحاكم في هذا العصر الملعي الذي ذهبت منه الرحمة وتحجرت فيه القلوب والعواطف والسعادة في القناعة عما في ايدي الناس من المال والحزم والشقاوة في هذا الاندفاع الى الشهوات من غير تمييز بين الطيب منها والخبيث . فمصرفنا هذا ببعده عن المعاملات الربوية وموقفه الفذ فيها سيسر بعمله للافراد والجماعات السيرة المثلى في الاقتصاد والاجتماع . وسيرفع عن قسم كبير من الامة الفاقة والفقر وسيزيل على الامة وصمة كثرة الطلاق ومعرة الاستجداء واظهار العورات للناظرين بصرفه لزكاته الشرعية في مصارفها عند رأس كل سنة هجرية من تأسيسه . وهو الذي سيكون المصرف الوطني للشمال الافريقي كله والذي ستنتشر فروعه في اقطاره والذي سيدر ارباحا عظيمة على الامة وعلى الخزينة العامة والذي سيشغل عددا كبيرا من شبابنا المتعلم ويمسرنه على الاعمال الحرة والمغامرات الرابحة . فلنعمل لتأسيس هذا المصرف ولنحرص الديوان الاقتصادي على الاقل فله منا اعلاق مكاسبنا وحتى حلي نسائنا حتى نبني صرحا اقتصاديا ضخما يليق بسمعتنا ومطامحنا الاستقلال والعزة والغنى . وهل اتاكم نبأ الشعب الايطالي اذ حاولت الدول مقاطعته وحصاره وكيف جادت عقيلاته بخواتيمهن حتى تكدس الذهب خزائن دولتهم وخرجت منصورة فخورة بشعبها وطاعته لزعمائه وفهمه لواجباته . هذا المصرف الوطني يجب ان يكون من اعمال الشعب الخالدة لانه هو موجده والمفكر فيه بفضل رجاله وزعمائه الاخيار رجال الديوان السياسي

ع س

تونس

غدا يطلق سراح الوطني الجريء حسن النوري

كاتب عام اتحاد النقابات التونسية ببنزرت

زعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي على تونس شيء موهوم

لكاتب كبير

من حين ابتداء هبوب عاصفة الخلاف المحزن بين الشيخ عبد العزيز الثعالبي ورجال الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي ، اي منذ ما يزيد عن الثلاثة اشهر وانا اتبع سير تلك العاصفة الهوجاء التي كادت ان تضرم نار الفتنة بين ابناء الوطن الواحد والتي اصبح موضوعها حديث النوادي وسمر المجتمعات ، كنت اتبع خطاها بكل دقة وتثبت وكان اكثر ما يسيئني من هذا الخلاف صفته التي اكتساها ، لا اصله ، فاني لا اعتقد ان تعدد الهيئات والاحزاب مضر بالبلاد « كما يزعم كثير من الناس » وانما المضر والمخطر ان تشتغل تلك الاحزاب والهيئات بعضها فيليها التنابز والتشاتم والتهجم على بعضها عن قضية الوطن ، وذلك هو الخطر الذي يخشى منه على البلاد ان يمسها المكروه

ومن المحزن ان خلاف اليوم بين الشيخ والديوان قد اكتسى صبغة محزنة من التناحر والشجار حتى اصبحنا نرى بعض الصحف الكبرى التي تتكلم باسم بعض الهيئات لا يخلو عدد منها من الشتم والنبز ورمي الاشخاص بما لا يليق صدوره من كبريات الصحف التي تحترم نفسها والتي ترجو ان يكون لها بعض التاثير على اصحاب العقول الراجحة ، وان يكون لكلماتها شيء من النفوذ

على ان الشتم ورمي افاضل الناس بنعوت لا تكون في الغالب الا للفلتاء والمتشردين لدليل قاطع على الشعور بضعف الحجة وافتقاد المنطق المعقول .

واني اشكر كثيرا من الكتاب الذين نشروا في الموضوع ابحاثا قيمة وكتابات صالحة لان يلتفت اليها ـ لما فيها من البيانات المعقولة مع الرصانة ومتابعة الاداب ـ قد افادتنا كثيرا وانارت لنا الحقيقة واضحة وكشفت لنا عن كثير من السبل .

ومع ذلك فلي كلمة في الموضوع كنت احيش بها منذ مدة ، وكثيرا ما اردت ان القيها في صورة اسئلة ولكني امتنعت لاني اعلم انها ستكون كغيرها من الكلمات التي تقدمتها مهملة من تعقبها بالجواب من الذين يهمهم الامر اصالة ، على انه لا فائدة في القاء اسئلة وانا اعلم ان الاجوبة « ان كانت » سوف لا تكون الا مخالفة للحقيقة والواقع الذي يرشد اليه ما حولنا من آثار واسباب تتصل بالموضوع .

ورغما عن ذلك فاني اريد ان اتساءل ما الذي اوجب كل هذا الصداع ؟ وهلا كان من الممكن تفادي هذا الخلاف ؟ فهل تعذر على الشيخ الثعالبي ان يعمل بدون ان يوجد هذا الخلاف ؟ وهل امتنع عليه خنقه يوم ولد ؟ وهنا ليسمح لي حضرة الشيخ ان اقول : ان لوجود شخصه ضلعا كبيرا في شبوب هاته النيران ، وانا اعتقد ان مجيء الشيخ الثعالبي الى تونس لو تاخر لتاخر بسببه هذا الخلاف ولو لم يكن لما كان اصلا .

فهل هناك ما يدفع عني اعتقاد ان الشيخ الثعالبي وجد الفتنة نائمة فايقظها ؟ وليسمح لنا حضرته بان نتحدث عنه كما سيتحدث عنه رجال التاريخ في الاجيال الاتية :

الثعالبي ليس مجهولا عند تونس والتونسيين ، فهو معروف عند الخاص والعام ، معروف في شبابه وفي كهولته وعرف ايضا في عهد شيخوخته

فجميعنا يعرف كيف ابتدأ حياته العامة وما هي بذرة اعماله الاولى ، فقد جرب في عهد شبابه فلم يصلح وحكم عليه بانه لا يقوى على تطبيق معلوماته بما يلزمها من الحكمة والمران ، وحكم عليه قديما بانه وان كان كاتبا لا باس به وخطيبا فصيحا الا انه تعوزه ملكة التفكير وتعمق البحث ، او بالحري تعوزه القدرة على الابتكار وحسن التدبير فلم يكن ربانا ماهرا ولم يظهر عليه الحذق كلما كان يقود سفينة ، فهو لا يصلح الا ان يكون مقودا لا قائدا ـ وهذا الحكم تجده في كلمة جامعة قالها بعض الزعماء الذين كان الثعالبي يعمل معهم (اعمل يا شيخ ولكن تحت اعيننا) ومعنى ذلك ان هذا الزعيم (وهو المقدس المبرور علي باش حانبة) يريد من الثعالبي ان يعمل ولكن طبق البرامج التي يضعها الزعماء وفي دائرة الخطط التي رسموها لانه متى خرج عنها وابتكر لنفسه فقد التوفيق وافسد متى اراد الاصلاح

هذا حاله في عهده الاول . وقد استمر معه هذا الخلق من عهد شبابه الى عهد كهولته فان من ينظر اليه في الحركة التونسية سنة ١٩١٩ ـ ٣٣ يراه كذلك غير موفق في ابتكاراته ، فقد كان من بين الذين اسسوا الحزب الحر الدستوري التونسي حوالي سنة ١٩١٩ ووضعوا برامجه وقد استطاع (بما اوتي من طلاقة في اللسان وبلاغة في القول) ان يستأثر برئاسة الحزب في ذلك العهد واستمر تاثيره على كثير من العقول حتى ادى الامر الى استبداده بشؤون الحزب واصبح المتصرف فيه ولا قول الا قوله . وهنا ظهر عجزه ايضا واضحا للعيان وبان بالكاشف ان كلمة المرحوم باش حانبه ما تزال منطبقة عليه اشد انطباق

فان ذلك الحزب الذي اسسه ثمرة المخلصين من رجال الامة وكان يلتف حوله جل (ان لم نقل كل) المثقفين والمتبصرين في ذلك العهد وكانوا يعملون فيه يدا واحدة وتحت راية متحدة وسار في عامه الاول والثاني خطوات شاسعة الى الامام (ولا بد ان يكون كذلك ما دام سراة الامة واعيانها والنخبة منها يلتفون حوله) . هذا الحزب (العظيم الناشيء) قد عبثت به تصرفات الثعالبي المعوجة وآلت به الى الضعف والانفضاض من حوله

فقد كان من جملة تصرفاته الغير المستقيمة انه يحكم على الرجال بالظنة فتراه يخون هذا ويسفه ذاك ويحتقر الآخر وهلم جرا لاقل بادرة تصدر (ولو كان حسن النية محقق فيها) او لمجرد فكرة تبسط والذي كان يبعثه على كل ذلك هو اعجابه بنفسه وحبه للظهور في كل موقف او حركة وهو يشمئز وترتعد فرائصه فرقا كلما رأي بادرة تدبير او ابتكار تظهر من غيره . وكلما راى حركة ناشطة الى العمل من سواه فانه يبادر باخضاعه الى ناموسه وقتل كل روح وثابة في نفسه وجعله لا يفكر الا من طريقه وبوحيه فان استعصى عليه فتلك الطامة الكبرى (والخيانة العظمى) فيبادر حينئذ الى نبذه واخراجه من الصف ويشهر به ويعمل الى اسقاطه ومحقه بكل الوسائل كل ذلك لئلا يكون معه في الامر رجل آخر له اسم محبوب بين طبقات الشعب ولربما اصبح يفوقه في الشهرة والفضل ولدي كل الوسائل لان اقول انه من هاته الناحية يعوزه الاخلاص الحقيقي فهو يشأر لنفسه ويعمل لشهرتها دائما ومن شرط الاخلاص (فيما نعلم) ان ينسى المرء نفسه ولا يهمه ان ذابت اعماله وعمي عن شهرته في قضية الوطن فحسب المخلص ان ينفع وحسبه ان يصل النفع الى بني جلدته وليس عليه فيما وراء ذلك من امر . وكلما حاول الزعيم ان يعمل لنفسه وان يسعى لشهرته وعرف عند ذلك كان ذلك كاف للحط من قيمته ولاحتقاره من طرف الجمهور فهو بذلك يكون رجل نفسه وليس هو برجل الامة

كذلك كان امر الثعالبي في حركة ١٩١٩-٢٣ فقد ادت تصرفاته تلك (وكان يعوزه التوفيق في التدبير كما قلت) الى ابتعاد الامة من حوله وانحلال الكتلة حلقة بعد حلقة حتى صار الامر انه يدخل نادي الدستور ـ نهج انقليزة ـ في الصباح ويخرج منه في المساء ولا يدخل عليه فيه داخل . بل الاعجب من كل ذلك حتى الذين دخلوا تحت ناموسه ورضوا باستبداده ولم ينفضوا عنه بصراحة انفضوا عنه ضمنيا فاصبح لا يرى الصافي الاسابيع المتوالية بل الاشهر حتى المحامي فرحات الذي كان يضم مكتبه ونادي الحزب باب واحد اصبح لا يراه الثعالبي الا صدفة (داخلا او خارجا) وربما تمر الايام ولا يراه وكذلك كان الشان في بقية الجماعة من الذين بقي اسمهم يعمل في الحركة لا غير — وصارت بطانة الشيخ بعضا من الاحداث من الطلبة والرعاع اولئك الذين حافظوا على زيارة الثعالبي ومجالسته . فيحدثهم عن الهند والسند « ويقرب في الحديث » فيعجبون بما يسمعون من اقاصيص واخبار ربما لا يجدون مثلها في سفرات السندباد البحري

واستمر الحال على ذلك المنوال سنتان او اكثر حتى دخل الياس نفس الشيخ ولا شك انه ادرك مغبة ما سلك من طرق ولمس سوء تدبيره وعدم انتصاحه بنصائح المرشدين المخلصين ، ففكر في وسيلة للتخلص من هذا الموقف المحزن

فما هي الوسيلة التي ترجع للحركة شبابها ونضارتها ؟ لا سبيل الى ذلك الا اذا تنازل الشيخ عن شيء من طبعه والتزم العمل براي الاغلبية ، والتزم احترام تفكير غيره ، وان يزيل من نفسه ما علق بها من اعتقاد ان لا مخلص الا هو ، وان لا قادر على انقاذ تونس غيره ، وان يعتقد ان لغيره شيئا (كذلك) من طهارة الضمير وصدق القصد ولكن يظهر ان هذا الحل صعب الحصول او بالحري صعب عليه التفكير فيه ، فاثر الحل الاخر وهو : ان يبارح البلاد تماما وبذلك يعطى القوس باريها ويسكن الدار بانيها

وسريعا : كان في الرصيف ، ووجهته بلاد الشرق . كان ذلك في صائفة عام ١٩٢٣ ـ ولنوقن من صدق حديثنا من انفضاض القوم من حوله ونفض الامة يديها منه . لنسال عن يوم توديعه ، فانه كان يوما ساكنا متواضعا لم يسمع فيه الناس بحادث مبارحة الشيخ للبلاد مبارحة تلي الا بعد ان وضعته الباخرة فيما وراء البحار ولم يحضر لتوديع (الزعيم) من احبابه الخواص الا نفر لا يزيد عن العشرين جلهم تلاميذه المذكورون

فهل هذا الجفاء من الشعب نحو الثعالبي بل وحتى من اصدقائه الخواص نحوه ناتج عن خوف من الحكومة او تهيب من الارهاق ، او لعدم فهم الثعالبي وتقديره حق قدره ؟ كلا : فالامر بالعكس فان الشعب كان تلقى الثعالبي يوم خرج من سجنه عام ٢١ في جماهير عديدة وجموع غفيرة تعد بعشرات الالاف ، وكان التف حوله وهتف باسمه وبذلك فقد برهن الشعب على انه يقدر ولا يخاف ولكن كان ذلك لان الشعب اختبر الثعالبي فرآه ليس هو رجل الساعة الذي ينبغي افتداؤه والغط عليه بالنواجذ

تلك هي تجربة الشيخ في عهد كهولته بان منها ان الامس كاليوم

غاب الثعالبي في سفرته هاته اربعة عشر عاما طاف اثناءها السند والهند « والبرين والبحرين » واخيرا ظهرت رغبته في الرجوع الى وطنه ، وظهر منه انه لا يريد ان يرجع رجوع مستسلم يامل ان يقضي ايامه « مقبلا على شؤونه الخاصة مشتغلا بعبادة ربه ممن سلم الناس من يده ولسانه » . بل يريد ان يكون عاملا من جديد ويريد ان يبعث في قومه الحياة والوفاق (والحال ان الوفاق سائد الا من بعض انفار لا يؤبه لهم وقد اصبحوا لا يشاغبون الا همسا) والسعادة . ويريد .... ويريد .... وقد كنا اثناء ذلك نتساءل في انفسنا ما هي السنن التي استنها لتلافي اخطائه في تجاربه الماضية ؟ فقال الناس عسى الشيخ ان يكون قد اكتسب مرانا زائدا وخبرة جديدة وتجاريب اخرى فالرجل قد باشر التعليم في كلية الحياة من جديد اربعة عشر عاما اخرى (بعد رسوبه في الامتحان السابق) فهل يا ترى نجدد التجربة ، ونبصره في عهد شيخوخته ، عسى ان تستفيد منه البلاد (ولو في هاته المرة) ، فعسى الشعب كله (زعماء واتباع) في سبيل الترخيص له بالرجوع ، وجاهد في سبيل ذلك وثابر لان الحكومة اصبحت تمانع في شان ارجاعه رغما عن كونه خرج من تلقاء نفسه ، فهي بدورها صارت تخشى هاته الاربعة عشر عاما اذ ربما تكون خطرا عليها

وسريعا كان الثعالبي بالرصيف الذي منه امتطأ ظهر الباخرة التي اقلته الى بلاد الشرق سابقا وفي نفس ذلك الوصيف الذي لم يشيعه فيه الا بعض آحاد من الناس يوم سفره الاول كان الشعب يتلقاه في جموع غفيرة وجماهير جرارة تعد بعشرات الالاف .

ما الذي حدث وغير هذا الشعب فاقتبله ولم يودعه من قبل ؟ فهل وجود الشيخ بالشرق هو الذي حرر مصر والشام والعراق ، واصلح بين الناصريين يحيى وآل السعود ؟ ام ان هذا الشعب صحي من غفوته وثاب الى رشده فادرك خطأه في الماضي ، واراد ان يصلحه في الحال ؟ هذا السؤال هو السر الغامض الذي عمي جوابه عن الشيخ الثعالبي فاراده

دخل الشيخ تونس فتلقاه الشعب كما وصفنا وبما هو معلوم ، فوجد الحركة الوطنية بيد الديوان السياسي يضطلعون باعبائها ، ووجد الامة التونسية تلتف حولهم الا بعض عشرات من الناس مبعثرين هنا وهناك ، مبعثرين ! ولكنهم جامدون لا حراك به تركتهم الامة وتركوها بعد ان اختبرتهم طويلا وبعد ان جربتهم مليا فوجدتهم غير صالحين لاي عمل كان « وكانهم ادركوا قدر انفسهم وعرفوا منزلتهم فانكمشوا في داخليتهم وقبعوا في كسور بيوتهم لا يلوون على شيء »

ولكن لم يمض على وجوده بتونس شهران حتى حلت النفرة بينه وبين رجال الحركة الوطنية (الديوان السياسي) الذين اقتبلوه وتحملوه على الرحب والسعة من يوم نزوله مرفأ مرسيلية ، واعلن الشيخ عدم رضائه عنهم وقد حاول مع ذلك ان ينفر منهم الشعب ، يفرقه من حولهم

فماذا عسى ان يكون موقف الشعب والشعب قد جرب اولئك الرجال واختبرهم وظهر له صلاحهم في صدقهم وفي عزمهم الصحيح ، وفي مثابرتهم على العمل ، وفي وضوح افكارهم وتناسق مبادئهم مع رغبته واستعداده واخيرا في تضحياتهم وصبرهم على المكروه ، والشعب قد جرب ايضا من قبل الشيخ الثعالبي نفسه ولم يكن يحمل له عاطفة اكبار (والشيخ نفسه يعرف هذا المقدار حق المعرفة فكثيرا ما تشكى وتذمر من نسيان الشعب له في كتبه التي كان ينشرها بتونس من حين لاخر بقصد تحريك عواطف الشعب نحوه) والمظنون ان اكثر ما يسيئه من هاته البرودة التي تظهر من الشعب التونسي هو ما يخاف من ان تحملها الشعوب الشرقية هناك لا على محمل ضعف شعور الشعب وانحطاطه بل لانه يعلم ان ذلك لا يحمل الا على محمله الحقيقي وهو ضعف آثاره في ذلك الشعب هذا امر حق يعرفه الشيخ معرفة دقيقة وهو الذي كان يحمله على نشر كتب الاستعطاف في الصحف التونسية

ورغما عن كونه يدرك هاته الحقائق الخطيرة وقد صرح بها نفسه في قمبطا بارك في الاحتشاد العام يوم اعلن للديوان السياسي انهم اصحاب الرأي المتبع في الشعب وانه بعد تاثيره عنه (كذا) رغما عن كل ذلك فان الشيخ الثعالبي عمد الى الذين يعترف بتاثيرهم على الشعب ونفوذ كلمتهم عنده واراد ان يحطمهم

اراد ان يقضي عليهم ليقيم مقامهم هيئة اخرى سوف تكون (حسب رايه) انفع للبلاد واقدر على جلب الخير ، وليس لدينا ما نمثله به الا ذلك المسرف الغير الرشيد الذي لا يقدر قيمة لشيء وانما حسبه ان يعمد الى بناء ولو كان ضخما (جديدا) انيقا ويحاول تهديمه ليقيم مقامه بناء اخر يصوره في نفسه اشد ضخامة واكثر متانة وابهى اناقة . ولكن جميع الشرائع لا تقره على ذلك

وهنا يظهر سوء تدبيره وقصر نظره ، ويتبين لنا بوضوح وجلاء ان الثعالبي الشاب هو الثعالبي الكهل وهو نفسه الثعالبي الشيخ ، لم يتبدل ولم يتغير ولم ينمرن ولم ينتفع بالسفرات الكثيرة . ولا بمجالسة الملوك او بمباشرة الزعماء الحقيقيين من رجال الشرق ، فهو ما يزال ذا تدبير منحط فاقدا للتوفيق يزج بنفسه في الامة فيثيرها عليه ، يفسد كلما اراد الاصلاح ، وكلمة المرحوم باش حانبة كذلك ما تزال منطبقة عليه حذوك النعل بالنعل

وهنا يمكن لنا ان نقول كلمتنا الاخيرة وهي : ان الثعالبي لا يصلح للقيادة والزعامة وذلك لامور :

الاول ـ انه حاول ان يهدم البناء المشمخر الذي وجده امامه لغير ما مصلحة محققة .

الثاني ـ انه عمد الى التشهير برجال الديوان السياسي واستنقصهم وحقر اعمالهم بل وخونهم في حال ان الامة التونسية كلها مقتنعة برأيهم راضية عنهم

الثالث ـ انه لو كان ماهرا مدبرا لما حاول ذلك في يوم وليلة وبمجرد استقراره هنا لانه يعلم حق العلم ان الامة التي تركها عام ١٩٢٣ تعرفه حق المعرفة وجربته طويلا (وهي التي انفضت من حوله) وليس من الهين ان تجدد له ثقتها لمجرد الظن بانه ربما يكون قد تحول عن طبعه او تبدل في اساليبه والامة التي حدثت بعد ذلك التاريخ لا تعرفه اصلا او هي تعرفه كما تعرف غيره من الرجال الذين طواهم التاريخ فهي والحالة تلك لا تؤمن بصلاحيته .

الرابع ـ انه لو كان له اقل مسكة من التدبير الصحيح لادرك هاته الحقائق ، وحسب لها حسابها قبل الاقدام على اي عمل من هذا القبيل فكل عاقل يدرك بالبداهة انه يصعب على اي كائن من كان ان ينجح بمجرد ان يقوم في الناس صارخا انكم على غلط وان هؤلاء الذين احببتم واتبعتم على ضلال يريدون الاضرار بكم فان عملا من هذا القبيل مردود على وجه صاحبه قطعا . وتلك هي سنة الله في خلقه وقد غفل عنها وهو بذلك يعرب عن راي فائل ونظر غير سديد . قل لي بحقك ماهي قيمة رجل نزل من البحر توا يصيح في الناس باعلى صوته ان رجال الديوان السياسي خونة مارقون . باعوا صالح الامة بصالحهم ارضاء لشهواتهم داسوا حقوق الشعب وبددوا المبادي ! يقول هذا بملء فيه فيه والامة التونسية قاطبة تعرف خلافه . فهل من الممكن ام من السهل ان تترك الامة كلها ايمانها وتطرح جانبا معلوماتها وتتبع هذا الناعق ؟

الخامس ـ ان الثعالبي لو كان مدبرا وحكيما لما سلك هذا الاسلوب بل كان الواجب عليه ان ان يعمد الى العمل الصامت المثمر (انى له ذلك وقد عرف عنه انه لا يعمل الا وسط الضوضاء والجلبة فاذا فقدها كونها) كان يعد نفسه للعمل ولو ضمن الديوان السياسي فينفخ الروح في ذلك الحزب ويوجد فيه تشكيلات جديدة من عناصره ويوجه نظر رجاله بالليل والاقناع ويبصرهم بالاصلح ويتصل بالشعب مباشرة ويعرفه بنفسه بالفعل قبل القول ، كان ينبغي ان تكون تلك اول خطاه بتونس بعد رجوعه الاخير . ولا نظن ان هذا العمل يكفيه الشهر والشهران بل يلزمه العام والعامان على الاقل . فعند ذلك يصدق فيه تجربة الشعب الاخيرة وعند ذلك يقدر ان ينشر في الناس كلمته الحاسمة ويحق له ان يسمع

السادس ـ الذي يدل على انه رجل غير موفق قصير النظر انه ابتدا برنامجه من آخره فعوض ان يبتديء عملية نزع الثقة عن الديوان السياسي من سنة ١٩٣٧ ـ ويتمها (بحول الله) في سنة ١٩٣٩ بكليته الحاسمة ، ابتداها من هاته وسيسير فيها حسبما يظهر الى الوراء حتى يصل الى سنة ١٩٣٧ ببرنامج العمل . وهو منطق معكوس وغريب بدون شك

السابع ـ الذي يدل على فساد تدبيره انه طلق الديوان السياسي الذي ترضى عنه الامة جميعا وغمس يديه في اللجنة التنفيذية التي طلقها الشعب والذي طلقها هو نفسه بعد ان طلقته وتركته يلتف حوله ثلة من الرعاع وصغار الطلبة ، واصبح وحده يعمر النادي كما تعمر البوم والغربان الخرابات .

وزاد فحكم عليه بالموت وهو في ديار الغربة ووصفهم بانهم (اذناب مقطوعة وغثاء تذر . وليسو رؤوسا ان لو كانوا رؤوسا لما اخطأتهم الضربة .) وزاد فحكم عليهم بالموت ايضا بمجرد وصوله الى تونس اخيرا : في خطبه في النوادي وفي محله الخاص وفي جميع احاديثه الاولى وسمع منه ذلك الخاص والعام والقريب والبعيد « بانهم اموات غير اهل للعمل ، ينبغي دوسهم ، ينبغي المرور على رقابهم ينبغي لفضهم لفظ الحذاء المرقع » هؤلاء القوم هم الذين انتصر بهم الشيخ بعد قليل من كل ذلك ، وهم الذين اعدهم للعمل معه ! ولتنفيذ برنامجه العظيم . فهو في هذا العمل كمن اراد ان يزيل بناء من مكان مذعيا ان ارضه رخوة لاثبت فيها الاساس . فوضعه على مجرى الرطوبات والقذرات المتعفنة وهو يعرفها كذلك محاولا تثبيته هناك وتدعيمه

الثامن — الذي يدل على انه رجل لا يعرف اين يحط رحاله انتماؤه لمن جرب هو وجرب الناس معه ان الذين تحاول ان تعتمد عليهم ايها الشيخ قد مات الحزب على ايديهم وانت تنظر واستمروا كذلك شأنهم فيما بعد ذلك الى ان قيض الله من انقذه من وهدة سقوطه وانتشله من بين ايديهم — فهم لا يقدرون على بعث الحياة في اي مشروع فها هي جمعية احباء الطلبة بين ايديهم الى اليوم يتولون ادارتها وهي من اعز الجمعيات على تونس تراهم قد عملوا على بعثها الى مرقدها الاخير مستعينين في ذلك مع بعض عناصر الفساد . وكل الظروف من حولهم تحملهم على النهوض بها لو استطاعوا او ارادوا ذلك . ولكن ما الحيلة مع اصحاب النفوس الخبيثة ؟

هؤلاء هم الذين اراد الشيخ ان يعتمد عليهم في دوره السياسي الاخير بتونس . لقد اعتمدت ايها الشيخ على الارذلين من الناس وسقط المتاع والله في خلقه شؤون !

التاسع ـ الذي يدل على ان صاحبنا ليس هو بالرجل المطلوب للزعامة ، استمرار اعجابه بنفسه معه حتى في عهد شيخوخته ، فقد كان يحسب ان تلك الرقتبالات الشعبية الحافلة ، وتلك المظاهرات البالغة مبلغا عظيما من الحفاوة والابهة كانت كلها لشخصه ولمجرد ذكر اسمه في الاسماع ولا دخل لدعاية الديوان السياسي فيها . ويا ليته درس وبحث عن الاسباب التي جعلت الشعب الذي لم يودعه يقتبله على ان كثيرين من العقلاء يعتقدون ان تلك لم تكن فكرته ابتداء ضرورة انه صرح في قمبطا بارك وفي غيره بما يفيد ادراكه للواقع وسبق منه في ذلك ان شكر الديوان السياسي الذي هيا له مثل تلك الاقتبالات والاجتماعات الحاشدة واعترف بانه قد بعد تاثيره عن الشعب . كل ذلك كان لما كان الشيخ يتصرف في شعوره وحده . ولكن يقال ان الشيخ حمله القوم من حيث اتصالهم به على تغيير رايه وزينوا له الغرور واقنعوه ان الشعب احتشد من اجله ولاسمه خاصة ولا تاثير لغير ذلك وهذا الامر ان صح ولا اخاله الا كذلك لا يدل الا على وصف اخر في الشيخ كان هو السبب العاشر

العاشر ـ الذي بدل انحطاطه ، وهو ان الشيخ امعة يفكر من طريق اذنه لا بوحي قلبه

الحادي عشر ـ الذي يدل على سوء تدبيره وتفاهة امره ايضا عدم استقرار فكرته وعدم اتضاح برنامجه ، فهو يدعي الاستقلال ولا يعمل له بوسائله الموصلة ، بل هو يعلم حق العلم انه لا يملك وسائله الموصلة . فلم يوضح برنامجا . ولم يبسط فكرة . ويدل عليها . ولم ينهج نهجا قيما . وانما هو تطرف مزيف ، وادعاءات فارغة ، واحاديث جوفاء تملا الفضاء لا يقصد منها الا اصطياد السذج والمغفلين ، وهي اساليب وان نجحت بعض ايام في الماضي فقد فات وقتها الان

اما بعد — فهاته معلومات قارة في نفسي مقتنع بها كاقتناعي بحرارة النار وميوعة الماء الخ ولست اقصد من ذلك اغاظة الشيخ او تحريق ذيوله ولكنه الحق ماخوذ من الواقع ومن التاريخ الحي ومن المائور على العين مما هو مشاهد بيننا . فاذا كان الشيخ يعتقد بطلانه . او كان هناك غيره من يعتقد (لاني اعتقد ان حضرة الشيخ سوف لا يتنازل حتى لمعرفة ما حوته هاته الكتابة فضلا على ان نطمع في الجواب منه) بطلانه ايضا فليتفضل وليجبنا عن هاته الاسئلة البسيطة باقناع وبالاشياء الواقعية الثابتة :

ما الذي احدثه الشيخ في تونس من المشاريع او المؤسسات اقتصادية كانت او اجتماعية ؟

لماذا بارح الشيخ تونس في عام ١٩٢٣ وتركها في اشد حالات الدرك وهي احوج ما تحتاج الى الرجال العاملين ؟

ما هي الاعمال التي قام بها حضرته اثناء اقامته بتونس في الجهات التي تجول بها في رحلته الاخيرة وما هي الاعمال التي قام بها بعد رجوعه ؟

المضد